سلسلة: شرح اسماء الله الحسنى

شرح اسم الله تعالى «الرَّزَّاق» سبحانه وتعالى

تفريغ الدرس الثاني

لفضيلة الشيخ:

د/ محمـــد الدبيسي

حفظه الله تعالى وعفا عنه

إصدار: 1.0 مسودة

إصدار: 1.0 مسودة

12 **صفر** 1433 **هـ** الموافق: 6 **يناير** 2012 م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف: فضيلة الشيخ د/ محمد الدبيسي حفظه الله تعالى.

للاتصال: **debiessy@gmail.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمَّا بعدُ..

فهذا تفريغٌ للدرس الثاني من شرح اسم الله تعالى «الرزَّاق» لفضيلة الشيخ د/ محمد الدبيسي حفظه الله تعالى، قُمنا بتفريغه رغبةً مِنَّا في تيسير وصول المادةِ العلمية والمواعظ الإيمانيةِ التي احتواهما هذا الدرس القيّم لإخواننا طلبة العلم، وحتَّى تسهل عليهم مذاكرةُ الدرس ومراجعته باستحضار هذا التفريغ المقروء مع سماع الدرس صوتيًّا. وإن شاء الله تعالى سننشرُ تباعًا تفريغًا لباقي دروس هذا الشرح القيّم لهذا الاسم المشرَّف بِدءً من الدرس الأول، ومرورًا بالدرس الثالث، ثم نختم بالدرس الرابع حتى يزداد انتفاعُ إخواننا بهذا الشرح الطيِّب، لا سيما أن التسجيلَ الصوتي لبعض دروس شرح هذا الاسم المشرّف رديءٌ جدا.

ومن الأهمية بمكانٍ بخصوص هذا التفريغ أنْ نُنبِّهَ أن فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى لم يُراجعْه ويُهذّبْه نظرًا لانشغاله الشديد في الفترة الأخيرة، لذلك أطلقنا عليه اسم "مسودة".

وكان منهجنا في هذا التفريغ هو تفريغ الدرس تفريغًا حرفيا، ثم مراجعة أخطاء التفريغ ومعالجتها لغويا وسماعيا ..إلخ، ثم تهذيب التفريغ تهذيبًا بسيطًا جدا حتى نُحافظ على عبارات فضيلة الشيخ كما هي على قدر الإمكان وفي نفس الوقت نُحوّل أسلوبَ الدرس من الصورة المسموعة إلى الصورة المقروءة، ثم تخريج الأحاديث تخريجًا وجيزًا مع ضبطها.

ونسأل الله تعالى أن يُبارك في وقت وصحّة فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وأن يُيسر له مراجعةَ هذه الدروس، وأن يُضيف إليها من إضافاته القيّمة حتى يزداد ويزداد انتفاعُ إخواننا

بهذا الشرح المبارك، كما نسألُه تعالى أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفَها والناظرَ فيها وكلَّ مَنْ شارك في نشرها ابتغاء وجه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: 1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71].

أما بعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

تكلمنا فيما مضى عن أهمية الأسماء الحسنى وقلنا: لا بد أن تأخذ هذه القضية الاهتمام الكافي من المرء المؤمن الذي يؤمن بالله تعالى ويتعلق به، والذي يسعى لتحصيل أسباب نجاته في الآخرة. وهذا مهم جدًّا؛ لأنه ليس هزلًا وليس مضيعةً للوقت، وإنما هذه هي آخرتُه التي يسعى إليها بجِدٍّ، والتي يجب أن يأخذ فيها الكتاب بقوة، كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: 12]. والتخاذلُ فيها والتكاسلُ عنها دليلٌ على عدم إقبال المرء

على الله تعالى، ودليلٌ آخرُ على مسألة مهمة وهي: أنه إذا أراد المرءُ أن يعرف قدْرَه عند الله تعالى، فلْيَعرِفْ قَدْرَ الله عنده. تُريد أن تعرف ما هي منزلتُك عند الله تعالى؟ فهي أن تعلم منزلة الله عندك. يعني: تَقيس اهتمامَك بربك وتوحيدَك له وإقبالَك عليه ولزومَ سبيل الاستقامة له وبذلَ المال والجُهْد والنفس والوقت... تقيس كل ذلك حتى تُقَدِّر قيمتك عند الله تعالى، وبهذه القيمة يتضح الأمر. والتخاذلُ والتكاسلُ والتواني والنومُ والوقوعُ في الغفلة وتركُ الإقبال على الآخرة وعدمُ الاستعداد لها... كلُّ ذلك يُبين عكس ذلك.

وهذه المسألة يجب أن يحفظها المرء ويُداوم عليها: أن تعرف قَدْرَك عند الله بقَدْرِ الله عندك، ومنزلتَك عند الله بمنزلةِ الله عندك، وهكذا، يحفظها. تَرى مثلًا في صلاتك ما قَدْرُ الله عندك؟ إذن هي منزلتُك، في الصيام كذلك.. في الذكر كذلك.. في الاستعداد للقاء الله تعالى كذلك.. في تقديم المال والنفس كذلك.. في محبة لقاء الله تعالى كذلك.. في الاهتمام بالعلم والوصول إلى الله ﷻ كذلك.. في عدم استكثار الوقت والمال والجهد على الله تعالى كذلك. وإنْ أنتَ صِرْتَ هكذا إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يُقَدِّمُكَ على غيرك، ويُؤْثِرُكَ على غيرك، ويرفع منزلتك. تُرى كيف رُفعت منزلةُ هؤلاء الذين رَفَع اللهُ تعالى منزلتَهم في الأولى – الدنيا – وكذلك في الآخرة إن شاء الله تعالى؟ كيف رُفعت منزلة هؤلاء الأعلام والمشاهير والنبلاء من أهل العلم والمؤمنين؟ كيف رفع الله تعالى ذِكْرَهم وأعلى منزلتهم ووَضَع الثناء والمحبة في قلوب الناس لهم، فلا يُذكرون إلا ويُذكر معهم الثناءُ والمدح الذي وضعه الله تعالى في قلوب المؤمنين لهم، وكذلك بما وضع الله تعالى من محبتهم وأنَّ محبتهم من محبة الله تعالى.

فلينظر المرءُ هذه المسألة ويجعلها هي ذِكْرَه ودَيْدَنَه، وكما قلنا في الزمن الماضي عندما تكلمنا في شرح اسمه «الرقيب» واسمه «الشهيد» ﷻ: أنه عندما يريد المرء أن يتعلم كيف يكون الربُّ جل وعلا رقيبًا عليه يقول: «اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ..»، وكان السلف الصالحون يعلِّمون الأولاد الصغار هذه الكلمات حتى يتعودوا أن يكونوا مراقبين لله تعالى: «اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ.. اللهُ ناظرٌ إليَّ.. اللهُ مُطَّلِعٌ عليَّ..»، فتَحْفَظُه هذه الأذكارُ البسيطة القليلة في أن يراقب ربه ﷻ، فلا يقع في معصيته، وتحفظه في أن يراقب ربه فيسارع إلى محبته ﷻ؛ لأنه عندما يرى ربَّه مُطَّلِعًا عليه ناظرًا إليه مراقبًا له شهيدًا على عمله، إذا به يكون أكثر اجتهادًا وبذلًا وإخلاصًا وصدقًا. كما يظن المرء في أعمال الدنيا أن رئيسه أو كذا أو كذا مطلعٌ عليه أو ناظرٌ إليه، فتراه يحرص على أن يُتقن عمله وأن يخلص فيه وأن يبذل جهده وأن يُرِيَ الناظرَ له أنه على أحسن حالٍ من البذل وأنه لم يُبْقِ جهدًا ليبذله. فكذلك عندما يَعلم أن اللهَ تعالى مطلعٌ عليه ناظر إليه، إذا به لا يَفْتُر عن ذكره ﷻ ولا يغفل عنه، وإذا وَسْوَست له نفسُه شيئًا فإذا به يرى اطِّلاعَ الله تعالى عليه ومراقبتَه له.

هذا الاسم، بل كل الأسماء التي شُرحت، لا بد أن تكون من مهام المؤمنين في سماعها ومذاكرتها؛ لإصلاح سَيْرِهم وقلوبهم وأعمالهم إلى الله تعالى، وكذلك لإصلاح إخلاصهم وصدقهم وبذلهم، وإخلاص أعمالهم مع الرب جل وعلا، وإصلاح علاقاتهم كذلك بالناس. وهذا يدفع المرءَ بعد ذلك إلى التحرك لدين الله تعالى والبذل له، وأن يسترخص روحه ونفسه ليبذلها لله تعالى.

انتهينا في الدرس الأول من التعليق على كلام أهل العلم في اسمه «الرزَّاق» ﷻ، وقلنا: إن الرزق نوعان: رزق الأبدان وهو الرزق الظاهر، ورزق القلوب والعلوم ومعرفة الرب ﷻ وما يتعلق بتغذية الروح والنفس والذي يكون سببَ إقبالها على الله تعالى ومحبتها ومسارعتها إلى الله تعالى؛ وهو أشرف الرزقينِ.

ونبدأ في الكلام عن الآيات المتعلقة باسمِ الله «الرزاق» وقضيةِ الرزق. ومَنْ يطالع هذه الآيات سيرى عجبًا؛ فإن هذا الاسم المشرف أخذ مساحة واسعة من كلام الله تعالى في القرآن الكريم، يعني أخذ مواضع كثيرة من القرآن وآيات كثيرة ذكرها الله تعالى، وإذا بهذه الآيات تجمع الموضوع، تجمع كل ما يتعلق باسم الله الرزاق وقضية الرزق وأن الله تعالى هو الرازق، وبعد ذلك أنه له ﷻ ملكوت السماوات والأرض، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر، وبعد ذلك امتنَّ الله تعالى على المؤمنين بالرزق، فأمرهم أن يأكلوا من رزق الله، ولكن بشروط ذَكَرها كذلك، ثم أمرهم بالإنفاق من هذا الرزق، ثم بيَّن الرزق في الآخرة، كأهل الجنة الذين يُرزقون فيها بغير حساب، وبيَّن الطريق الموصل إلى تحصيل الرزق في الأولى والآخرة.

الآيات المتعلقة برزق الله الواسع

– الآية الأولى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ**﴾ [الذاريات: 58].

وهذه الآية الكريمة تبين كيف يكون المرء متعلقًا بالله تعالى مُوحِّدًا له؛ حيث إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. وذكرت الآية أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، حتى يكون

عند المرء المؤمن اعتقادٌ في أن الله تعالى لن يتخلى عنه. بمعنى أن المرء القوي مثلًا يمكن أن يكون سببًا لرزق أولاده في الدنيا أو لرزق مَنْ يَعول أو من يقوم على مسئوليتهم، ولكن هذا المرء القوي صاحب الرزق لأولاده يمكن أن يضعف عن تحقيق أسباب هذا الرزق لهم فيضعف الرزق، أو يمكن أن يضعف هذا المرء القوي فيحتاج إلى من يساعده في تحصيل هذا الرزق من ولد أو مُشارِكٍ أو غيره. فدلت الآية إذًا على أنه يمكن لأي أحد أن يكون مُفْتَقِرًا أو أن يكون ضعيفًا فلا يستطيع أن يحصِّل أسباب الرزق كلَّها، أو أن يكون محتاجًا إلى من يساعده في تحصيل أسباب هذا الرزق. مَنِ الذي قد استطاع في الدنيا هذه من أولها إلى آخرها أن يحصِّل رزقه بنفسه؟! من الذي لا يحتاج إلى أحد في تحصيل أسباب الرزق.. في أن يقوم له بشأنه.. في أن يوزِّعه له.. في أن يساعده.. في أن يشتغل له.. من الذي لم يَحْتَجْ إلى أحدٍ في ذلك؟! لذلك رأينا في هذه الآية أن الله تعالى وحده هو الرزاق ذو القوة المتين.

وذكرنا الفرق بين «الرزَّاق» و«الرازق»، وقلنا إن الرزاق هو الذي يرزق مرةً بعد مرة بعد مرة، فلا ينفد رزقُه ﷻ أبدًا.

– الآية الثانية: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

لذلك تجد الرزق مع القوة يدل على عدم ضعف الرزق، وعلى عدم انقطاعه، وعلى عدم الاحتياج إلى أحد في إعطاء هذا الرزق، وعلى دوام هذا الرزق، وعلى سعة هذا الرزق، وعلى كِبَر هذا الرزق، على قدر هذا القوي العزيز ﷻ.

وهذا يبين للمرء هذا المعنى وهو: كيف يُحصِّل المرءُ حظَّه من هذا الاسم؟ وذلك بأن يتعلق بالله تعالى، فلا يطلب الرزق إلا منه.

ولكن نذكر أولًا سعة رزق الله كما تكلمنا على سعة كرم الله تعالى، حتى يُوحِّد المرء ربه ﷻ.

– الآية الثالثة: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ**﴾ [ص: 54].

وتجد المرء الضعيف الإيمان الذي يخاف على رزقه، تجده يتشكك في رزق الله تعالى إذا تأخَّر عليه، تقول له: اصبر واستعن بالله تعالى؛ فإن الله هو الرزاق وهو الذي سوف يرزقك. فيقول: من أين يأتي الرزق؟ و«السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»! وكذا وكذا. وهذا تَشَكُّكٌ في رزق الله تعالى، وتشكك في قدرة الله تعالى، وكأن الله لا يملك شيئًا، وكأن الله تعالى لا يقدر على أن يرزق هذا المسكين الفقير الذي لا يساوي شيئًا في خلق الله تعالى منذ خلق السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة. يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ**﴾، ما له من نفاد في الأولى والآخرة، كما قال تعالى: ﴿**يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [غافر: 40]، وقال تعالى: ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: 62].

وهذه الآية تحتها معانٍ كثيرة:

المعنى الأول: أن الله تعالى هو الرزاق، وأن رزقه واسع ما له من نفاد، أي لا نهاية له، وأن له ميراث السماوات والأرض، وله ملكوت السماوات والأرض جل وعلا.

والمعنى الثاني: أن الله تبارك وتعالى لما قال بأن رزقه ما له من نفاد، أمَرَهُم بأن يأكلوا من هذا الرزق، فقال: ﴿**كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ**﴾ [سبأ: 15]، ولكن هل قال: ﴿**كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ**﴾ فقط؟ لا، بل قال: ﴿**كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ**﴾ [سبأ: 15]. ﴿**كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 172]. ﴿**فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ**﴾ [النحل: 114].

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ [طه: 81]. ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة: 60].

فبعد أن عَرَّفَهم بأنه هو الرزاق وأنه عليهم أن يُوَحِّدوه بهذا الرزق وامتنَّ عليهم برزقه، قال لهم: كلوا واشربوا كما تشاءون من هذا الرزق، ولكن هذا الأكل لا بد أن يكون منضبطًا بهذه القواعد التي ذكرها في عدم الطغيان وتقديم الشكر وألَّا يَعْثَوْا في الأرض فسادًا... إلى آخر هذه المعاني.

المعنى الثالث: ثم بعد أن يأكلوا ويستكفوا من رزقه، أمَرَهم بأن يُنفقوا منه، فقال تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: 254]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المنافقون: 10]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7]. ولم يترك لهم سبيلًا إلا أن ينفقوا: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: 7].

المعنى الرابع: ثم أثنى ﷻ على المنفقين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]. ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 35]. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: 134].

المعنى الخامس: ثم بعد ذلك بيَّن عاقبة الإنفاق، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ [سبأ: 39]. إذا أنفقت مائة جنيه هل سيعطيك مائة مثلهم؟ لا.. هو أكرم منك وهو أكرم الأكرمين، لا يعطيك مائة جنيه فقط، بل النفقة عنده بسبعمائة ضعف إلى أضعاف

كثيرة، حتى يطمئن المتشكك الذي يخاف ألا يُخلِف الله عليه، ونقول له كما قال النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عبدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»[1].

المعنى السادس: ثم عتب عليهم وعلى الكفار وعلى كل الناس عدمَ إنفاقهم، فقال: ﴿**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ**﴾ [النساء: 39]، أي: ماذا سيحدث لهم لو أنفقوا مما رزقهم الله ﷻ؟!

***

فهذه الآيات هي رءوس المسائل التي ذكرها الله ﷻ في قضية الرزاق، والرزق، وأنه ﷻ هو خير الرازقين.

---

(1) أخرجه بنحوه الإمام مسلم في صحيحه (2588) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (2325) وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) ، وتمامُ نص الحديث عنده للفائدة:

عن أَبُي كَبْشَةَ الأَنَمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « **ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ**: » . **قَالَ: « مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا –، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ:**

قَالَ: « **إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً؛ فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ،**

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً؛ فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ" فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ،

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً؛ فَهُوَ يَخْبِطُ فِى مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،

وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: "لَوْ أَنَّ لِى مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ" فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ ».

طُرق تحصيل الرزق

1 – تقوى الله تعالى

وبعد ذلك بيَّن الله تبارك وتعالى أن طريق الرزق وتحصيله هي تقوى الله تعالى، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 2، 3]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: 4]. فبيَّن ﷻ لهؤلاء الخائفين على أرزاقهم.. هؤلاء الذين ضُيِّق عليهم.. هؤلاء الذين تَعَسَّرت أمورُهم ولا يجدون مخرجًا مما هم فيه.. بَيَّنَ لهم طريقًا من طرق تحصيل هذا الرزق وهي تقوى الله تعالى. فإذا تعسَّرَ أمرُك أيها المسكين، وظننتَ أنك انتهيت إلى الهلاك، وظننتَ أنه لن يُغيثك أحد ولن يقف إلى جوارك أحد، وانفضَّ عنك الناس؛ إذا بالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 2، 3].

2 – الصلاة

ثم بين ﷻ للذي قد تَعقدت عليه أموره أن الصلاة من أعمال التقوى التي ترفع عنه ذلك الضيق: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: 32]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم أول ما يضيق الرزق عليهم وتتعسر أمورهم، كانوا يقولون: الصلاة الصلاة، قوموا وصلوا، قوموا وصلوا؛ فينفرج الأمر وينزل الرزق.

3 – الدعاء

ثم بَيَّنَ لهم ﷻ أن الدعاء كذلك من أسباب نزول الرزق: ﴿**وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ [المائدة: 114]، وكما ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: 37].

فهذه طرق يبينها المولى ﷻ كذلك في هذه الآيات بهذا المعنى.

***

والمعنى التالي هو أن الله تبارك وتعالى أَمَرَهم بذِكْره حال الرزق: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الحج: 28]. وكأن شكر الله تعالى على هذا الرزق الذي رَزَقهم به لا ينتظر منهم إلا أن يذكروه ﷻ، كأن ذِكْر الله تعالى على الرزق هو الشكر له. وهذا المعنى ينبغي أن يتعلمه المرء؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ؛ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[1].

الرزق في الآخرة

وفيها مسألتان:

المسألة الأولى: وهي مسألة الشهادة في سبيل الله؛ قال ﷻ: ﴿**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ**﴾ [آل عمران: 169]. مع أنه كان من الممكن أن تُقال

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2734) من رواية أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه يرفعه.

كلمة أخرى غير ﴿يُرْزَقُونَ﴾، كأن يقول مثلًا: «يتنعمون»، لكنه بيَّن ﷻ أن هؤلاء الشهداء يُرزقون، يعني لا ينقطع عنهم رزقُهم في الآخرة. وكذلك قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًا﴾ [الحج: 58].

لذلك يبين ﷻ ويقول: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: 4]، ليس أي رزق كما ذكر الله تعالى. وهذا يبين رزق الآخرة الذي قال فيه ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٖ﴾ [ص: 54]، ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: 62]... إلى آخر الآيات التي ذكر الله جل وعلا: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة: 25].

وهذا يبين هذين المعنيين:

المعنى الأول: معنى من قُتل في سبيل الله، وهو أن رزقه جارٍ عليه، وكذلك المؤمنون عندما يدخلون الجنة لهم رزقهم فيها كما قال تعالى: ﴿يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: 40].

وهذه المعاني التي بينتها تلك الآيات الكريمات مرتبطة بهؤلاء الذين كان لهم الرزق الشريف في الدنيا وهو معرفة الرب ﷻ وتوحيده وعبادته والعلوم الموصلة إليه جل وعلا، حيث ذكرنا أن الرزق في الدنيا نوعان: رزق الأبدان، ورزق القلوب.

إذًا رءوس المسائل التي ذكرناها:

1 – أن الله تعالى هو الرازق.

2 – منة الله على المؤمنين بالأكل من هذا الرزق وتوسعة الرزق لهم ولكن بشروط: بالشكر ، وعدم الطغيان، وألا يعثوا في الأرض مفسدين.

3 – الإنفاق مما رزقكم الله ويندرج تحته:

أ- الأمر بالإنفاق.

ب- الثناء على المنفقين.

ج- تَبْيِين عاقبة الإنفاق: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: 39].

د- والمسألة التي بعدها هي عتابه عليهم: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 39].

4- تقوى الله هي الطريق إلى الرزق ومنها الصلاة.

5- خيرية رزق الآخرة على رزق الدنيا: فرزق الله تعالى هو الخير، فلو تعارض أمر الله تعالى مع رزق الدنيا، فإن المرء يقدم أمر الله تعالى فيحصِّل رزق الدنيا والآخرة، يحصل الرزقين مع بعض؛ لأن حال الناس في الدنيا إذا تعارض درس العلم أو تطويل الصلاة مع هذه الدنيا، أو القيام.. الذكر.. الإنفاق.. البذل... أي شيء من هذه الأمور، تجده يُقدِّم فيها مصالح الدنيا؛ يقول لك: إني متأخر، وراءي شغل، غدًا سأستيقظ مبكرًا، كذا وكذا، كل هذه القضايا الله تعالى أجملها في آية مهمة وهي قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

فلو تعارضت التجارة واللهو، حيث لم يذكر الله تعالى التجارة فقط ولا اللهو فقط، فلو ذَكَر اللهو فقط كان الناس قالوا: نعم اللهو يتعارض مع أمر الله تعالى، لا شك في أن طاعة الله مقدمة على اللهو. إنما قال: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾. والتجارة هذه مسألة عامة وإن كان مخصوصها هم العرب لأنه كان غالب أعمالهم التجارة، إنما هذه المسألة تشمل كل ما يمكن أن يصدك عن الله تعالى. ويبين لك المولى ﷻ أن ما عند الله خير من ذلك، لذلك قال: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون: 72] ﷻ.

ونحاول أن نذكر ما يمكن أن يكون سببًا لتقوية الإيمان بالله تعالى، وأن يكون سببًا لتعلق الناس بربهم جل وعلا، وألا يتكل الناس على الأسباب، وإنما يتكلون على مُسبِّب الأسباب ﷻ، وألا يجعلهم الرزق يُقصرون في أمر الله كائنًا ما كان. يأتي لي بعضهم مثلًا ويقول لي: أريد أن أعمل في المكان الفلاني ولكنهم يريدون أن أحلق ذقني، فماذا أفعل؟! نقول له: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، وأنتَ إنْ قدمتَ أمرَ الله تعالى فإن رزق الله سيسوقه إليك، ولا يمنعه عنك كراهية كاره ولا يسوقه إليك حرص حريص. فيتعلم المرء كيف تكون أوامر الله تعالى وطاعة الله تعالى مقدمةً عنده على كل شيء، وأن محبة الله مقدمة على جميع المحاب، حينئذ يأتيه رزقه ﷻ كما قال المولى جل وعلا. وسنذكر إن شاء الله تعالى آيات كثيرة في هذه المعاني.

نقول أول شيء:

1 – إن الله تعالى تفرد بالرزق لكل دابة وضمنه لها، فالله تعالى هو الرزاق كما ذكر عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]، فالله تفرد برزقهم كما تفرد بخلقهم، أليس كذلك؟ لذلك قال المولى جل وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]. ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60]، كأنه يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾، دابة مهما كانت صغيرة لا تحمل رزقها وأنت لا تأخذ بالك منها، من الذي يرزقها؟ هو الذي يرزقها ﷻ وكل الدواب في الدنيا، لم نسمع عن أحد مُتكفِّل برزق هذه الدواب التي تسير في الأرض أو تدب عليها أو في الصحراء أو في باطن الأرض أو في الماء... لم نسمع أن أحدًا قد وظَّف على نفسه وظيفة أن يقوم برزق هذه الدواب. ثم قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾

وليس يرزقها فقط بل أنتم مثلها وأغلب منها: ﴿يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، فليس هناك دابة ليس لها رزق، هل هناك دابة ليس لها رزق عند الله تعالى وخلقها ولم يرزقها؟ لا.

إلى بقية الآيات...

يقول ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: 6]، وقال تعالى في الأرض: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: 20]. فالله يقول: جعلنا في الأرض لكم فيها معايش، وكذلك جعلنا معايش لمن؟ لمن لستم له برازقين، أأنتم ترزقونها في الحياة الدنيا.

ويبين الله تعالى أنه خلق الخلق وأنه رزقهم، فاتفق الخلق والرزق من الله وأنه هو الخالق وفي نفس الوقت هو الرازق، فلم يخلقهم ويتركهم جل وعلا وإنما قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: 40] فهل يوجد واحد يعمل أي شيء من هذه الأمور؟ يخلق مثلًا أو يرزق أحدًا أو يحيي أو يميت؟ ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾..

فهذه الآية تبين أن الله تبارك وتعالى تفرَّد بالخَلْق وبالرزق وبالإماتة والإحياء، وأنه ليس ثَمَّ أحدٌ يمكن أن يفعل شيئًا من ذلك..

***

وهناك آية تجمع الرزقين وهي آية البقرة: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212]. وهذا محل الشاهد كما يقول اللغويون: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وهذا رزق الآخرة، فكأن التقوى دليل الرزق بغير حساب في الآخرة. فهؤلاء الذين اتقوا بسبب تقواهم يرزقهم أرزاق الآخرة

أم أرزاق البدن في الدنيا؟ إذن الذي توسع في أرزاق الآخرة في الدنيا يكون رزقه في الآخرة بغير حساب، وكذلك له رزق ثانٍ.

فالله يرزق من يشاء بغير حساب، كأن الله ﷻ يبين للناس أنه ليس ثَم أحد يرزق مَنْ يشاء وليس ثَمَّ أحد يعطي بغير حساب، أليس كذلك؟ وإن أعطى فمدة إعطائه محدودة، وإن أعطى فما يعطي محدود، أما الذي يرزق بغير حساب فهو الله تعالى.

وكذلك الرزق في الآخرة لا حدود له، والله تعالى بعد ذلك وَعَدَهم المساكن والحور العين، فلهم رضوان من الله أكبر كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: 15]، وهم ﴿**وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [البقرة: 212].

فمقصدنا تبيين أن الله تعالى هو الرزاق، وأنه خلقهم ورزقهم، وأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وأن التقوى هنا الكلام عن الرزق في الدنيا والآخرة.

***

وتوجد مسألة مهمة وهي في سورة آل عمران، وهي للمتشككين جدًّا. تقول الآية: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: 37]. فهذا لمريم عليها السلام، وهي امرأة وهي في المحراب ولا تستطيع أن تعمل أو تشتغل، وكفَّلَها زكريا عليه السلام زوج خالتها على أي الروايات، و﴿**كُلَّمَا**﴾ - و"كلما" هذه للتكرار، تُكَرِّرُ ولا تَتَكرر كما يقول النحويون - ﴿**دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾، فهو يدخل عليها ليأتي لها بالرزق لأن أمها قد نَذَرَتْها لله تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي**﴾ [آل عمران: 35]. فإذَا به يجد عندها الرزق: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا**﴾، فقال لها: ﴿**يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ**

﴿هَٰذَا﴾، فردتْ عليه: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. من أجل المشككين الذين يقولون: كيف يأتيني الرزق إذا صليتُ؟! وهل السماء تمطر ذهبًا أو فضة؟!...

وتذكرون ما قلناه في شرح اسمه «الوهاب» ﷻ عندما نزَل على سيدنا أيُّوبَ الجرادَ الذهبَ من السماء في حديث البخاري، ففتح حجره وأخذ يجمع فيه، والله تعالى يقول له: ألم أكن أغنيتُك عن ذلك؟ قال: نعم، ولكن لا غنى لي عن بركتك[1].

وبعض المفسرين يقولون: كان يدخل عليها في الشتاء فيجد فاكهة الصيف، ويدخل عليها في الصيف فيجد فاكهة الشتاء، ويجد لديها ألوانًا وأنواعًا من الرزق لا يعلمها ولا يستطيع هو عليه السلام أن يأتي بها؛ لذلك كان الرزق محل الاستغراب وإلا لم يكن هناك محلّ للدهشة، فلماذا يندهش زكريا؟ فإذا كان الطعام عاديًّا فسيقول: أي أحد قد أتى لها به في غير وقته أو أن أمها قد أتت لها بالطعام أو غير ذلك، وإنما وجد شيئًا لا يعلمه ولا يستطيع أن يأتي به، لذلك استغرب له. من أجل ذلك قال زكريا في دهشة: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾، فقالت هي: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، و﴿إِنَّ﴾ هنا للتوكيد، ودخلت على الجملة الاسمية فزادتها توكيدًا، والجملة الاسمية تعني الاستمرار وتعني الثبات. و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني باستمرار لا انتهاء له ولا نفاد له، ودخل عليها ﴿إِنَّ﴾ للتأكيد.

---

(1) هذه القصة أخرجها بنحوها الإمام البخاري في مواضعَ؛ منها حديث رقم (279)، وهذا نصُّ الحديث فيه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِى فِى ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: "يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟"، قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ! وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِى عَنْ بَرَكَتِكَ ».

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: 38]. لما رأى ذلك وأن الله تعالى قادر على كل شيء وأنه يرزق من يشاء بغير حساب، وأن هذه المسكينة التي لا حول لها ولا قوة، اللهُ تعالى لم يَنْسَها بل رزقها هذا الرزق الواسع التي تتكلم عليه. ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. فدعا الدعاء الذي لا يمكن أن يعطيه أحد لأحد وهو أن يرزقه الولد، فمن الذي سيعطي أحدًا الولد؟ فهنالك دعا زكريا ربه عندما رأى هذه الآيات الباهرات في الرزق. وهذه الآية مُساقة للمتشككين في أرزاقهم. ولم يضيعها بل رزقها ووسَّع عليها وأعطاها من رزقه الذي لا ينفد، من أجل ذلك دعا ربه زكريا. كأن الآية هذه هي التي أشعرت زكريا عليه السلام أن الله تعالى يمكن أن يرزقه الولد بغير حالة منه يعني بعد اليأس منه ومن زوجته، فزكريا دعا ربه هذا الدعاء واستغرب، تقول الآية: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: 38]، فاندهش سيدنا زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8]. يعني: كَبر لا خلفة معه ولا شيء ولا حركة وامرأته عاقر.

فمن هذه القصة المقصود أن نتبين ما الرزق، وأنه لا يقدر عليه شيء ﷻ، وأنه بيده ملكوت كل شيء وأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

وكذلك بيَّن الله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19].

وهذا من لطف الله تعالى ومن قوته، حتى ولو كان الله تعالى حال الاستيئاس أنه لطيف وحال الخوف على الرزق أنه قوي، فحال كونهم استيأسوا أن لا يوجد الرزق نقول: إن

الله لطيف ﷻ.. لا تخف، سيرزقكم ويفتح عليكم ويعطيكم ويهبكم من فضله جل وعلا وهو القوي العزيز.

والآيات لم تنس في نفس الوقت العكس، يعني الله تبارك وتعالى يقول لهم: ﴿**قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ**﴾ [يونس: 31]. فهنا السؤال سؤال تقريري – كما يقول العلماء – يسألهم ﷻ لتقريرهم على هذا المعنى، فذكر أنه يرزق من يشاء بغير حساب لأنه بيده ﷻ الملكوت والخزائن والرزق، ويعطي ويهب ويخلقهم ويرزقهم وكل ذلك، والآيات لِتُقررهم: ﴿**قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ لا بد أن يكون الله، فلماذا تتشككون في رزقه ولماذا تعبدون غيره؟ ولماذا تتكلون على سواه؟ ﴿**قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ**﴾ [سبأ: 24].

﴿**هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾ [فاطر: 3]؟! هل يوجد خالق آخر سيعطيكم شيئًا؟ فأنت أيها المسكين لما يضيق عليك أمرك من سيعطيك؟!

هل ذكرتم ذلك وآمنتم بذلك ووحدتم به؟

﴿**أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ**﴾ [الملك: 21]. كأن يمسك المطر مثلًا، والمطر يسمى رزقًا: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا**﴾ [غافر: 13]. فلو هو ﷻ أمسك رزقه عنكم، مَن الذي يرزقكم؟! من الذي لو أمسك السماء التي تنزل الغيث، وأمسك الأرزاق ﷻ عن الخلق، إلى مَنْ تلجأون أن يرزقكم، إلى مَنْ تذهبون؟ ﴿**أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ**﴾ [الملك: 21] .

لذلك قال ﷻ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: 33]. فهو القائم على كل نفس بالكسب وهو الذي يعطيها، فهو القيوم ﷻ.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: 33]، أي: اذكروا لنا اسمهم أو اسم واحد منهم، ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

***

وبعد أن عرفنا رءوس المسائل المتعلقة بالرزق، وأن الله هو الرزاق، وسعة رزق الله تعالى، لا بد أن يتعلم المرء أن يأخذ حظه من هذا الاسم، فالحظ الأول من هذا الاسم هو توحيد الله ﷻ الذي ينبني عليه توكله على الله تعالى وتعلقه به وألا يطلب الرزق إلا منه وألا يحزن على تأخر الرزق وأن يعرف مكانة الرزق وأن يعرف أن طريق الرزق هو التقوى.

فهذه المسألة لا ننساها وكذلك الأولى التي بدأنا بها الدرس: أن قدرك عند الله هو قدر الله عندك. انظر قَدْرك عند الله فهو قَدْر الله عندك، وأن ترى كيف تُقَدِّر نفسك وصحتك ومالك وولدك وراحتك على الله تعالى؛ فهذا قدرك عنده ﷻ، وأن تقدم أمر الله ومحبته وتوحيده والبذل له جل وعلا والسعي إليه بكل المحاب وبكل القربات التي يمكن أن تقدمها إليه، فهذه منزلتك عند الله تعالى.